

حدود دور التواصل اللغوي في محاربة العنف الشبابي في ضوء العولمة: دراسة مفاهيمية – تحليلية
The limits of the role of the linguistic communication in the fight against youth violence
in the light of Globalization: a conceptual- analytical study

بن عمار إمام

أستاذ محاضر – أ-

جامعة: محمد الصديق بن يحيى - جيجل - الجزائر

imambenamar@yahoo.fr

ملخص:

إن النظر إلى المجتمع كبيئة اجتماعية يتفاعل أعضاؤها الأفراد فيما بينهم بصورة مستمرة، خاصة فئة الشباب بوصفهم القوة الحية والنشطة في الحياة الاجتماعية، ويتبادلون الأفكار والقيم والاتجاهات والحاجات، يدفع إلى التفكير حول طبيعة التفاعل القائم، لأنه قد ينزع إلى العنف تحت أشكال مختلفة؛ جسدي ونفسي وفكري ولفظي، ويكون مصير الوجود والاستقرار الداخلي محكوما بمدى قدرة التحكم في هذا العنف. وهنا تظهر اللغة والتواصل بين الشباب كضرورة حتمية لتجاوز صور الصراع بينهم، كونها أداة ناقلة للقيم الايجابية للتعايش والتلاحم والتفاهم والسلام في إطار العيش المشترك، خصوصا إذا تعززت بجهود متعددة المستويات، بدءا من الأسرة إلى محيط العيش الواسع.

الكلمات المفتاحية: فئة الشباب، الحياة الاجتماعية، العنف، التواصل اللغوي، العيش المشترك

Abstract:

Considering the community as a social environment, in which the individual members are interacting constantly, especially the youth as the active and viable force in the social life, and exchanging ideas, values, trends and needs, leads to thinking over the nature of that interaction, as it may turn to be violent under several forms; physical, psychological, ideological and verbal, so the fate of the internal reality and stability is related to the extent by which such violence is controlled. In this case, the language and communication among the youth seem as an absolute necessity to overcome sorts of

conflict among them, as it stands as vector carrying the positive values of coexistence, cohesion, understanding and peace within the framework of the common living, especially if it is consolidated with multi-level efforts, starting from the family to the broad cadre of life

Keywords: youth cohort, social life, violence, linguistic communication, coexistence

مقدمة:

يشيع في حقل العلوم الاجتماعية أن المجتمع بوصفه مجالا واسعا للتفاعل الاجتماعي في شقيه التعاوني والصراحي، يحوي صورا عديدة لعدم الاستقرار بين فواعله من مختلف الفئات الاجتماعية، بغض النظر عن الانتماءات السياسية والعقدية الخاصة بكل فاعل، بحيث يمكن أن تتحول ساحة العيش المشترك بين أفراد المجتمع إلى حلبة للصراع المتولد عن العنف المنبثق بينهم؛ أي أن تغدوا العلاقات القائمة بين الناس نزاعية في جوهرها، وفي تجمعات وفضاءات مختلفة، قد تصل غالبا إلى أماكن مقدسة وراقية، نحو دور العلم والعبادة، ولهذا دأب عديد الباحثين من مختلف التخصصات والحقول العلمية Multidisciplinary researchers إلى محاولة البحث عن حقيقة ظاهرة العنف، خصوصا في أوساط الشباب بوصفهم القوة اليانعة والمنتجة في البيئة الاجتماعية. وباعتبار أن اللغة أداة لنشأة أي مجتمع إنساني، وسبب بقاءه، فإن التواصل اللغوي بين الأفراد هو سبب الإحساس بانتماء المجموع إلى محيط واحد، قيمه مشتركة وتفاعلات أعضائه محكومة بطبيعة اللغة السائدة، ودرجة عنفها من عدمه تمثل المعيار الأساسي لتقييم استقرار العلاقات الاجتماعية داخل الدولة.

يشير الخبراء في اللغة إلى وجود شبكة من القيم الموضوعية لقياس قدرة اللغة والتواصل بها بين الأفراد، بمختلف فئاتهم ورتبهم الاجتماعية والسياسية، ودورها في معالجة مشكلة العنف بين الشباب، بحيث تشيع لغة غير لطيفة بينهم، وتتطور إلى أشكال متقدمة من العنف اللفظي، وتتحوّل إلى ظاهرة ملموسة من سلوكيات العنف وتتفشى في مختلف مؤسسات المجتمع، ابتداء من الأسرة، وتصبح مع مرور الوقت نموذجا فظاً للعيش المشترك باعتبارها وسطا للتواصل السلبي، وتحكم تفسير العنف الشبابي وتوجهه نحو مجالات أخرى لدرجة تهديد النسيج الاجتماعي الكلي للمجتمع. وانطلاقا من هذا التحليل الموجز لظاهرة العنف الشبابي وكيف تتصل بنمط التواصل اللغوي بين الأفراد، يمكن نستفسر عن حدود العلاقة بين المتغيرين، سعياً منا لتسليط الضوء على مدى دور التواصل

اللغوي بمختلف ضوابطه ومعايير عمله في تجنب ظاهرة العنف الشبابي، وعلاج تجلياتها داخل المجتمع، ومنه طرح الإشكالية التالية:

ما دور التواصل اللغوي في محاربة العنف الشبابي كظاهرة اجتماعية في ظل واقع العولمة المتميز بالتقارب بين الثقافات وتحول العالم إلى قرية صغيرة للتفاعل العابر للحدود؟
ارتأينا تقسيم المداخل إلى المحاور التالية:

أولاً: حتمية التفاعل الإنساني – اللغوي في ظل العولمة وإكراهاتها الثقافية

ثانياً: تفسير دافعية العنف الشبابي في المجتمع في ظل تحولات البيئة العالمية

ثالثاً: دور التواصل اللغوي في معالجة ظاهرة العنف الشبابي: قراءة لغوية توضيحية

أولاً: حتمية التفاعل الإنساني – اللغوي في ظل العولمة وإكراهاتها الثقافية:

لقد صاحبت التحولات المختلفة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلمية والتكنولوجية ضمن ما يعرف بموجة العولمة النمطية للقيم والسياسات على صعيد عالمي أوسع، تغيرات ملموسة في التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد داخل الدولة، وبينهم وبين أفراد ينتمون إلى إطارات جغرافية وثقافية مغايرة، وذلك في إطار التقارب في القيم والأهداف العالمية ذات الطابع الإنساني؛ أي أصبحت قيماً كوسموبوليتية*، بحيث يشترك فيها الناس كبشر لهم مصالح موحدة ومشتركة، بغض النظر عن فوارقهم واختلافاتهم على أسس ثقافية وجغرافية ودينية، فأصبحت عوامل الجذب والائتلاف أكثر من عناصر الفرقة والاختلاف، وهو أول ما أفرزته العولمة في البيئة العالمية، والتي لا تعدو أن تكون قرية صغيرة¹.

وبحكم تعقد فواعل النظام العالمي وتفاعلاته في ظل توجه مسار تطور الأحداث نحو توحيد نمط التفكير والعمل، على اعتبار أن العالم برمته أصبح قرية صغيرة **small village**، كان لأسلوب التواصل بين الأفراد من بيئات ثقافية مختلفة يسيراً؛ على اعتبار أنه يجمع بين مواطنين لهم نفس الاهتمامات والأفكار تجاه المسائل الحيوية التي تمس بحياتهم واستدامة نمط عيشهم، ناهيك عن المسائل المتعلقة بالأخلاق والقيم المواطنة العليا؛ على غرار الاحترام وقبول الآخر في معتقداته وثقافته ولغته أيضاً.

تعتبر اللغة بوصفها أداة للتعارف والتلاقح والتواصل، من أهم المجالات الثقافية لظاهرة العولمة، بحيث فرضت هذه الأخيرة على المجتمعات والأفراد اعتناق معايير سلوكية للتفاعل مع الآخر، والاشتراك في نمط حياة موحدة شعارها الإنسانية المشتركة ونبذ كل ما يدفع إلى الانقسام والاقتتال بين الناس، وذلك بغض النظر عن الاختلافات العميقة المحكومة بأسس جغرافية وعرقية ودينية، والتي لطالما طبعت أنماط الصراع المختلفة في العالم. وهذا ما أعطى للنظام العالمي نظرة شاملة؛ أي

عن طريق التصور بأنه ليس هناك مجتمع شامل واحد، وإنما هناك على الأقل اثنان ينافسان أحدهما الآخر: مجتمع الدول الوطنية، ومجتمع المنظمات المتنوعة العابرة للحدود الوطنية والعاملون والجماعات والأفراد يشيدون ويهدمون نسيجاً من العلاقات الاجتماعية².

يمكن أن نؤسس مقاربة اجتماعية- لغوية في ظل التغيرات المتسارعة للعولمة وما نجم عنها من تغييرات جمة امتدت من الجوانب السياسية والاقتصادية الخاصة بالحكومات وأجنداتها الخارجية، ونمط إدارة شؤونها الداخلية، إلى الجوانب القيمية والثقافية التي تنظر للإنسان كوحدة محورية يجدر الاهتمام بها وتفسير الظواهر غير الطبيعية في المجتمع انطلاقاً منها، وعلى رأسها العنف بين الأفراد، وتقوم على العناصر التالية:

أولاً: حتمية العولمة:

إن تطور حركة العالم ضمن مسار متسارع ومتواصل وتراكمي للأحداث؛ من دولنة المبادلات والأفكار والسياسات منذ عقود، وتحرير الكثير من القيود التي كانت مفروضة على الحكومات والأفراد ضمن نطاق سياسات ضيقة وطنية، وانتهاج نمط التفكير الكوسموبوليتي في إطار عالمي أوسع، دفع بالجماعات العلمية المشتركة في تخصصات معرفية شتى إلى التمرد على قيود النزعات القومية والقطرية الضيقة، خاصة بحكم التسليم بمجيء نظام عالمي جديد يتأسس على القيم الإنسانية العامة وليس على المواجهات والصراعات المذهبية، كما يقبل التعددية السياسية والاجتماعية ويحترم حق كل شعب في اختيار الطريق الذي يلائمه³.

أعطت العولمة زاوية تفكير جديدة قوامها الاحتجاج على ثقافة احتكار التفكير ومنع التنوع الذي يصدر من الآخر، فأصبح الباحث لا يؤمن بسيطرة قيم وطنية معينة، على أساس أن العالم أصبح حلبة للتعايش الهجين **Hybrid coexistence**؛ ألا وهو التقارب والتداخل بين نحن والآخر **We and the Other**، كما لم يعد من الحكمة أن ننبد من يختلف عنا، بحكم ولادة شعور إنساني مبني على التعاضد والعيش المشترك – **the feeling of togetherness** - فنحن أفراد الأسرة العالمية الواسعة، ندين بعقيدة السلام العالمي، وننبد إكراهات التطرف والتعصب وما يؤدي إلى معضلة العنف، فتصبح الثقافات كيانات غير منغلقة على نفسها وغير جامدة، بل تتفاعل في إطار التبادل المعترف به حسب مفهوم منظمة اليونسكو⁴، خصوصاً في ظل انتشار لغة الإرهاب على صعيد عابر للأوطان، ومن هذا المنطلق، وجب على الباحث أن يعي حقيقة أن العولمة طرحت تهديدات وقدمت فرصاً للتعايش؛ ومن دواعي الحس السليم أن يتغلب المتعايش على المتطرف.

ثانياً؛ عالمية الإنسان ومحوريته:

إن احترام حقوق الإنسان كنص مقدس في الشرائع السماوية والدساتير الوطنية وقوانين النظام الدولي، تبدأ من مسئلة اعتبار الإنسان إنسان في كل مكان وزمان، وأنه كائن مقدس يجب احترامه وتمكينه من كل الحقوق، سواء كان في الشرق أو الغرب، وصفة الإنسانية فيه تنبع من محوريته ككائن كريم ولا يجب المزايدة عليه مهما كانت الأسباب والظروف، ويعود مصدر حقوق الإنسان إلى الطبيعة الأخلاقية للإنسان، والتي ترتبط بالكرامة المتأصلة في الشخصية الإنسانية، وتشكل انتهاكات هذه الحقوق حرماناً للشخص من إنسانيته، وهي لا تمنع بالضرورة الشخص من تلبية حاجاته، ويقال في هذا الصدد أن هناك ضرورة لحقوق الإنسان ليس من أجل الحياة، وإنما من أجل حياة كريمة، وهنا يعترف كريستيان باي Christian Bay وهو من أكثر المدافعين شهرة عن نظرية حقوق الإنسان، بأنه من "السابق لأوانه الحديث عن حاجات مؤسسة أميريقياً أبعد من الحاجة للبقاء والأمان"⁵.

ثالثاً؛ قيمة اللغة في التواصل والتعااضد الإنساني:

يورد الباحث هدسون Hudson في كتابه "علم اللغة الاجتماعي" أن اللغة هي العنصر الرئيس في إعطاء الصفة الاجتماعية للمتحدثين بها، وهي أداة للتواصل، وذلك في دراسته للغة العربية – كمثال – من خلال التشديد على دورها في تحديد علاقات القوة والتضامن بين الأفراد⁶. غني عن القول أن اللغة تضطلع بالدور الأكبر في بناء نسيج العلاقات الاجتماعية، وذلك من خلال بسطها لقنوات الاتصال والتواصل معاً بين الجماعات المتشابهة وغير المتشابهة على المستويات الثقافية والاجتماعية والجغرافية والعرقية، مثلما تلعبه الانجليزية في الربط بين مصالح الناس وحاجاتهم الثقافية والاقتصادية من بيئات مختلفة، فتغدو بذلك عملية التواصل ذات طابع اجتماعي تفاعلي متبادل بين الأطراف المشتركة بها "المرسل والمستقبل" ومن خلالها يتم التعبير عن الذات والأفكار والمشاعر ونقل وتبادل الأفكار والمعلومات والانطباعات والخبرات، وتؤدي إلى إشاعة الفهم والتعاطف وتطوير العلاقات وتحقيق الأهداف المنشودة⁷.

ثانياً؛ تفسير دافعية العنف الشبابي في المجتمع في ظل تحولات البيئة العالمية:

إن التغيرات المتسارعة الحاصلة في المجتمعات الوطنية المختلفة إنما ترتبط بوتيرة العولمة وأثارها على مختلف مناحي الحياة، بحيث سادت ثقافة ممارسة الاضطهاد بين الناس وانتهاك حرمة وجودهم في المجتمع، بمختلف انتماءاتهم العرقية والدينية والجغرافية والثقافية، وأصبحت ممارسة يومية مقلقة للحكومات والمثقفين والعالم بأسره، لطالما دعت منظمة الأمم المتحدة إلى نبذ العنف تحت جميع أشكاله.

يكتسي العنف الشباب أهمية حيوية على المستويين؛ العملي والفكري، بحيث أصبحت ممارسته بأشكال عديدة وفي مناطق مختلفة من العالم ظاهرة متكررة يجري قياسها بالأرقام والنسب، كما أنها مفهوم يجري التباحث حول أصله ودوافعه ومؤثراته وطرق تجنبه، ودأب المجتمع العلمي على تخصيص مقررات دراسية لتحليله كظاهرة مركبة، وتنبع أهمية دراسة العنف الشبابي من اعتبار الشباب رأس مال المجتمع وجيل المستقبل، بحيث تقع على عاتقهم مسؤولية إعادة بناء المجتمع وتنميته، كما أن إهمال هذه الشريحة من المجتمع يجسد عاملاً خطيراً وتحدياً أمام المجتمع، فقد تتحول هذه الفئة من عامل بناء وتنمية إلى عامل تهديد وهدم لمقومات التنمية البشرية، كما أن ثقافة الشباب **Youth culture** اعتبرت على مر التاريخ إحدى الثقافات الفرعية في المجتمع وغالباً ما كانت تتلاقى وتتقاطع مع ثقافة المجتمع.

يُعرّف الشباب **Youth** بأنهم تلك الفئة العمرية ما بين 15 و29 سنة، أي أنهم من منظور بيولوجي مجموعة الاعتبارات المرتبطة باكتمال نمو البناء الوظيفي للمكونات الأساسية لجسم الإنسان، حيث يكتمل نضجه العضوي والعقلي والنفسي، أما المنظور النفسي فيشير إلى حالة عمرية تخضع لنمو بيولوجي من جهة، ولثقافة المجتمع من جهة أخرى، بدءاً من مرحلة البلوغ وانتهاءً بدخول الرشد، حيث تكون عمليات التطبع الاجتماعي قد اكتملت، أما المفهوم الاجتماعي للشباب فيشير إلى ربط التحديد العمري بالدور الاجتماعي **Social role** للشباب وخصائص المرحلة التي يمر بها الفرد، وتتسم بالتمرد وطلب الاعتراف الاجتماعي بوجوده الكامل⁸، وهو ما تناولته عديد الدراسات المعاصرة وفقاً للتعريفات الدولية، وفي مختلف حقول المعرفة الاجتماعية.

تتعدد دوافع العنف الشباب وأسبابه على غرار العديد من الظواهر التي تحدث في المجتمع، مادام الفرد يتفاعل مع غيره وفي بيئته ذات التغيرات المستمرة من حيث البنيان الاجتماعي وعملية التفاعل بين وحداته، فهو لا يعدو أن يكون جملة من التراكمات المحكومة بحاجات الفرد الأساسية الملحة وصعوبة تحقيقها في محيط لا يوفر فرصاً للتمكين الاجتماعي والاقتصادي، أو نظام سياسي مغلق لا يعترف بمجال مستقل وعلى قدر من الحرية لشريحة واسعة وقوية من أفراده؛ أي الشباب، بالإضافة إلى دوّاع سيكولوجية لطالما تناولها علماء النفس والاجتماع في أبحاثهم.

يرجع علماء الاجتماع العديد من التغيرات في ثقافة الشباب وسلوكهم العنيف المستشري في كثير من المجتمعات، سواء العربية أو الغربية، وبغض النظر عن الروافد الثقافية والأيدولوجية التي يدينون بها، إلى تأثيرات العولمة، بحيث يكون هؤلاء في تواصل مستمر مع نمط حياة مختلف وغير مستقر مع معايير المجتمع الأخلاقية والاجتماعية وحتى الدينية (خاصة في المجتمعات العربية)، ويعيشون عبر إطلاعهم على ثقافة الغرب عبر مواقع التواصل الاجتماعي، تحت تأثير ثورة المعلومات وآلياتها عالية

التقنية كالفضائيات والإنترنت أو عبر الهجرة، حيث يؤدي تعرض الشباب لهذه التغيرات المتسارعة وعدم ارتباطهم بالثقافة المحلية ارتباطا كبيرا إلى الانغماس في ما تفرزه العولمة الثقافية، وهو ما يخلق سلوكيات جديدة نعتبرها من قبيل العنف.

يعتبر الشباب الفئة الأكثر استهلاكاً لمخرجات العولمة نظراً لكونهم مستقبلين لما هو جديد وآت من الغرب، فهم الأكثر قابلية للتغير والتوجيه وهم الفئة التي لا تزال رغباتهم وحاجاتهم تتشكل بعد، مع ما يعرض من ثقافة استهلاكية في نمط العيش في اللباس وطرق التواصل ولغة الحديث مع الشباب من مناطق أخرى من العالم، وهو ما ينعكس سلباً على مكانتهم ودورهم الاجتماعي؛ بحيث يتجهون شيئاً فشيئاً إلى رفض الحياة العامة وكل ما يرتبط بها من أدوار سياسية ومدنية، وينسحبون نحو المحيط الفردي Individualism⁹.

يمكن إيجاز دافعية العنف الشبابي تحت تأثير العولمة في النقاط التالية:

1/ ارتباط الشباب بمطالب عالمية وعابرة للحدود Global/ Transnational demands غير حبسية ببيئته الثقافية والاجتماعية؛ أي أن يتجه نحو رفض قيمه التقليدية التي أصبحت تتعارض وحاجاته المدفوعة بالتوسعات الرأسمالية والتقدم التكنولوجي وحركة نقل الثقافات والسلع التي يدركها كبديل سريع للإشباع المادي والمعنوي، وهو ما سيؤدي مع مرور الوقت إلى سيادة حضارة جديدة – إن صح التعبير- وهي حضارة الفردانية التي تطيح بنواة المجتمع النووية (العائلة) وتطيح بالتضامن والتواصل السليم لحساب اعتبارات مادية (المال)، ومنه تجري قراءة وحيدة للواقع، وهي الغزو الثقافي وإستيلاب الشباب وميلهم للعنف الرمزي في سبيل الدفاع عن الواقع الجديد، ما يشير إليه الباحثين العرب بمفهوم الاختراق الثقافي للشباب¹⁰.

2/ صدام القيم الذاتية والمستوردة من خارج المجتمع الأصلي للشباب، بحيث تخلق حركة العولمة الثقافية والتكنولوجية صراعاً نفسياً بداخل الفرد الشاب، فيدرك أنه أمام رهان كسر قيود المحافظة والانتماء الثقافي التقليدي، على أساس أن ما يأتي من الغرب، بفعل دولنة المبادلات والأفكار، هو الأنسب للتحديث وركوب موجة الحضارة والتمكين الفردي، وهنا راج مفهوم الأمركة Americanization كنمط ثقافي واقتصادي واجتماعي، واقتربت مع العولمة؛ وهي في عقول الشباب فرصة يمكن للأفراد من خلالها الوصول إلى القمة عبر تقليد مخرجاتها، سواء في الجانب المادي أو المعنوي، ومنها يسعى الشباب إلى التحرر من قيود الوطن المحلي، على شكل عمليات عنف لفظية أو جسدية، فتكثر الجرائم في أوساطهم على غرار نظيرتها في مجتمعات الأخر.

3/ سوء حوكمة النظام السياسي – الاجتماعي وممارساته؛ فغياب الديمقراطية وهدر الحقوق الفردية والجماعية، ناهيك عن تلاشي ثقافة المشاركة التي ينشدها الشباب في مجتمعه، يدفعه للمتمر

على واقعه، ويربط نمط حياته بواقع مغاير، فيستبجح المحظورات وينغمس في عالم الانحراف والجريمة كلما تهيأت له الفرصة، والتي يدركها علماء النفس والاجتماع كفرصة للتنفيس عن الرغبات المكبوتة "معارضة النظام القائم وممارساته القمعية"، وهو حال عديد المجتمعات العربية التي لا يزال شبابها ينشد التغيير السليم لأنظمة الحكم وثقافته.

ثالثاً: دور التواصل اللغوي في معالجة ظاهرة العنف الشبابي: قراءة لغوية توضيحية:

دأبت الدراسات اللغوية المعاصرة على الربط بين مشكلة العنف الشبابي والحل المناسب لذلك في إطار مقارنة سوسيو-لسانية متكاملة؛ أي تقوم على تسخير اللغة برموزها وقواعدها - في إطار تعليمي سليم- على محاربة الصور النمطية السلبية Stereotypes تجاه الآخر (المختلف عناً)، ومحو فوارق التمييز العنيف على أسس اللون والدين والعرق والأرض، وتطبيق سياسات الاندماج الاجتماعي ضمن ترسانة واسعة من القوانين والتعليمات الصارمة التي تجرم أي ممارسات تسيء إلى فئات محددة من الناس، خصوصاً بين الشباب ونظرائهم من بيئات ثقافية مختلفة، أو بين شباب البيئة الواحدة. وينشأ المجتمع على أساس التواصل بين أفراد بوسيلة اللغة؛ فلا يمكن لهم الاعتماد على بعضهم البعض في التخاطب إلا بها، والتواصل اللغوي بين الأفراد هو سبب الإحساس بانتماء أفراد الأسرة إليها وأفراد المجتمع إلى المجتمع.

ينظر علماء الاجتماع إلى التواصل على أنه ظاهرة اجتماعية تساهم في ضمان تماسك وتلاحم العلاقات الاجتماعية، إذ لا يمكن لأية جماعة إنسانية أن تنشأ وتعيش وتستمر دون وجود علاقات بين أعضائها، والإنسان لا يمكنه أن يعيش دون تواصل، بحكم انخراطه في علاقات مع الآخرين، وتعتبر اللغة أحسن وسيلة لوصف الأشياء والرغبات والمشاعر، وفي هذا الصدد وفقاً للسويسري فرديناند دي سوسير في تعريفها كظاهرة اجتماعية كونها نظام من الإشارات والرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن مجمل أفكاره¹¹.

بحكم الوظيفة التواصلية للغة؛ من حيث التبليغ عن المعلومات والتعبير عنها وتبادلها بين الأفراد، فإنها تساعد على حماية المجتمع من مظاهر العنف المختلفة، خصوصاً بين الشباب، "فاللغة تعتبر وسيلة لصبغ الفرد بالصبغة الاجتماعية، وكلما ازداد توغلا في عضويته للمجتمع اللغوي، لعبت اللغة دوراً متزايداً، لا في حياته الاجتماعية فحسب، بل في سلوكه، وإحساسه، وتفكيره الشخصي، أما عضويته الفعالة في المجتمع، فتعتمد مباشرة على قدرته على الاتصال بزملائه، وقدرته على الاتصال بدورها عامل أساسي في نموه باعتباره فرداً"¹².

ونظراً لأهمية التواصل في المجتمع بوسيلة اللغة كقناة اجتماعية – ثقافية متعارف عليها في مختلف البيئات الثقافية، سواء عند العرب أو العجم، وبحكم استفحال ظاهرة العنف الشبابي في الكثير من

المجتمعات، ومنها العربية التي ننتمي إليها، يمكن الاحتكام إلى قراءة موجزة وعلاجية للظاهرة-المشكلة، وذلك من خلال تقديم بعض المقترحات بوصفها دليلاً عملياً للشباب اليوم، وهي كالتالي:

تفعيل لغة الصواب السياسي:

في ظل التنوع الكبير لثقافات الناس ومعتقداتهم وطرق حديثهم وتصوراتهم وعقائدهم، أصبح من الواجب احترامهم كمجموعات مختلفة في معايير الانتماء تجاه بعضها البعض، خصوصاً بعدما انتشر التعصب والتطرف والكرهية في لغات البعض؛ فأصبحت جماعات من الأفراد منبوذة أو مهمشة من حيث اللون أو العرق أو الدين، ويحصل الصدام بينها عبر رموز سلبية للغة غير مهذبة؛ ألا وهي عدم الكياسة **Political incorrectness**، وهي لغة هجومية غير لطيفة، وذات توجهات متحيزة ومُحطّة تجاه جماعات مهمشة في المجتمع، فيصبح من الحس السليم والأدب بين أفراد المجتمع، خصوصاً الشباب تداول لغة الكياسة، مثلما يعرفها الباحث جينفر بيتر **Jennifer Peters** كما يلي¹³:

“Political correctness is defined as the avoidance of forms of expression or language that would offend or discriminate against already marginalized groups, often abbreviated as ‘PC’, it is a way of speaking about others without being hurtful or hateful, even unintentionally”

فهي بذلك لغة صافية من صور التجنّي والتهميش والهجوم على مجموعات قد تبدو مختلفة عن الآخرين في المجتمع، كالسود والشواذ جنسياً والمعاقين والبيدنيين –على سبيل المثال لا الحصر- ونقيضها الإيجابي هو الكياسة واللفظ، وهو مجال بحث اللسانيات الاجتماعية التي تُعنى بقواعد الأدب عبر المجتمعات، والأدب في سياق اللسانيات هو استخدام الأفعال اللغوية التي تنم عن احترام شعور المتحدث وتعزز اللطف.

يمكن تجنّب العنف بين فئات الشباب بوصفهم القوة الحية والفاعلة في المجتمع، من منظور التواصل اللغوي القائم على تصحيح المصطلحات التي تحتل تفسيراً مهيناً؛ تفادي لسان التجريح والتعيب والهجاء وحتى التهكم والسخرية التي يمكن أن تقسم المجتمع إلى فئات تشعر بالعلوية والاقتدار على الآخرين، وبين من يستشعرون الضعف والإقصاء والدونية، ولذلك يستوجب نشر ثقافة الكياسة في الحديث بين الشباب، نحو:

لغة الكياسة	لغة غير الكياسة
أصحاب اللون people of colour	السود أو الزنوج black people / Negro
ذوي الاحتياجات الخاصة Physically challenged	المعاقين handicapped

المسنين Senior people	العجائز The old
Residentially flexible	دون مأوى Homeless
Differently wise	الجاهل ignorant
المحافظ Conservative	الرجعي Reactionary
الاشتراكات Contributions	دفع الضرائب Tax payments

مراجعة الخطاب العلمي:

تتأسس قيم التسامح بين الناس بمختلف مشاربهم ومعتقداتهم وسلوكياتهم ضمن أطر منظمة ومضبوطة فكريا وعلميا، ألا وهي الجامعات ومؤسسات التعليم المختلفة وبقية منظمات المجتمع المدني ذات الصلة بالثقافة المجتمعي، ومن هنا يمكن تطبيق ظاهرة العنف في أوساط الشباب، وتوجيههم وضبط نزعاتهم العدوانية من منطلق التسامح والتألف والنشوء على قاعدة العيش المشترك. فالجامعة كمؤسسة أكاديمية تقوم بتدريس أحدث المبتكرات العلمية والنظريات التربوية والنفسية والاجتماعية، وتتقدم على المستوى الاجتماعي والثقافي للمجتمع العام، لذا فإن العديد من علماء الاجتماع ينظرون إليها بمثابة وكالات التغيير الثقافي في المجتمع¹⁴:

-احترام التنوع الاجتماعي والاقتصادي والديني والعنقي في المجتمع الجامعي لتفادي وقوع انحرافات سلوكية في وسط الشباب والخروج عن الضوابط الجامعية.

-باعتبار المرحلة الجامعية المرحلة الحاسمة للشباب من حيث التطوع نحو مستقبل الحياة المهنية والأسرية، فيجدر تحويلها إلى أقوى مؤسسة للتنشئة الثقافية؛ أي غرس وترسيخ قيم التسامح والتنوع والعيش المشترك داخل الحرم الجامعي، ناهيك عن التركيز على ثقافة منع العنف في مختلف أطوار التعليم الجامعي.

-تحويل الجامعات إلى أوساط اجتماعية حاضنة للعيش معاً Living together خاصة في ظل استقبال أعداد معتبرة من الطلبة الأجانب، مما يتطلب إطارا واسعا من التعايش بين أفكار الشباب ورفض كل أشكال العنف اللفظي والجسدي والنفسي تجاه الآخرين.

وأمثلة ذلك جهود الجامعات في الغرب في سبيل دفع المهاجرين والوافدين الجدد للانندماج وقبول قيم الآخر، دون تحامل أو عدوان، وذلك في ظل التسليم بالفوارق الثقافية والقيمية بينهم؛ المسلمين والمسيحيين والبوذيين والملحدين، ناهيك عن معايير التفرقة العنصرية واللونية واللغوية.

خلق شراكة لغوية فردية – وطنية – عالمية:

يشترك أفراد المجتمع في لغة تواصل يتوارثونها أبا عن جد، سواء كانت إيجابية أم سلبية، مادامت موروثاً يرسم صورة المجتمع في عاداته وقيمه وثقافته، وتختلف رموزها وشعاراتها وإيحاء كلماتها وتعبيراتها الحقيقية والمجازية من شعب إلى آخر، حتى بين أولئك الذين ينتمون إلى المحيط القومي الواحد "المجتمعات العربية" – على سبيل المثال لا الحصر- وهي معيار لقياس ظاهرة العنف بين الشباب من عدمه، فإن كانت مرنة من حيث تطبيع أوصاف الفجاجة والخشونة والفظاظة والاهانة، ومتساهلة في قبول سلوكيات مستهجنة، ناهيك عن ضعف قواعد الضبط الاجتماعي والرقابة من أصحاب القرار في الدولة ورؤوس التعليم والمجتمع المدني عموماً، تحول الشباب إلى مصادر للجريمة والعنف وساعدوا في مزيد من التمزق الاجتماعي؛ بحيث يستسهلون جرائم القتل والاعتصاب والإقصاء ورفض التعايش مع من يخالفونهم في الأفكار والمظاهر وأنماط العيش المختلفة، على غرار مصير بعض الأقليات الإفريقية أو المهاجرين غير الشرعيين أو غير المتدينين، سواء في المجتمعات العربية أو الغربية.

الخاتمة:

مما سبق تناوله يمكن أن نتوصل إلى القول بأن مجتمع الشباب بحيويته وقيم وطموحات وأشكال تفاعل أصحابه، يعتبر مصدراً للعنف تحت جميع أشكاله؛ نظراً للقوة الحيوية التي يتمتعون بها، وطموحهم في الحياة، ناهيك عن تأثرهم بموجة العولمة الثقافية والتكنولوجية التي أملت عليهم مطالب كثيرة تتعدى حدود الوطن الواحد، وذلك بمساعدة تكنولوجيات الإعلام والاتصال، وسعي الشاب الفتي إلى تحقيق ما يربو إليه ولو بوسيلة العنف.

بالنظر إلى أهمية اللغة والتواصل بها بين الشباب سواء داخل المجتمع الواحد أو مع الآخر المختلف في عقائده وقيمه وعرقه؛ أي في دول ذات مجتمعات متعددة الأفكار والثقافات، يمكن أن نبني مقارنة علمية وشاملة لاحتواء معضلة العنف، سواء في صورة المادية أو المعنوية، من خلال الترويج لثقافة التسامح والتنوع والعيش المشترك، والنظر إلى الشباب كمحرك للتغيير السلمي في المجتمع، بطريق التوعية والتنشئة والتعليم وكل سبل ترسيخ قيم المواطنة السليمة، والتي تجرّم العنف بينهم، وتسعى إلى خلق محيط اجتماعي واسع ليستوعب جميع الأفراد بمختلف مواقعهم الاجتماعية والاقتصادية والعرقية، والتمهيد لبناء ميثاق معنوي لنبد العنف.

أصبح التواصل اللغوي بتسخير لغة السلام والتعايش؛ سواء اللغة الأصلية للشباب أو الأجنبية "كالانجليزية" فرصة سانحة لترسيخ قيم التسامح المجتمعي وتقوية العلاقات البناءة بين الأفراد الشباب، وبذلك يصبح العنف الشبابي هدفاً للعلاج المستمر، ناهيك عن دور المؤسسات العلمية في

التلقين والتوعية والتوجيه لرفض كل ممارسات العنف التي أصبحت تهديدا خطيرا لتماسك المجتمعات، ومنها الجزائر.

الهوامش:

*- كوسموبوليتية؛ كلمة مشتقة من المقابل اليوناني "الكون" Cosmos؛ أي العالم ومنه الصفة الانجليزية Cosmopolitan أي كوني، وعالمي (من دول مختلفة)، كما يطلق على الشخص العالمي؛ أي الذي يعتبر متحرراً من النزعات الوطنية الضيقة، كما يدل عليه اللفظ اليوناني (cosmos + اللفظة اليونانية polites المواطن) مأخوذ من قاموس أكسفورد المحيط إنكليزي – عربي، محمد بدوي، بيروت، أكاديمية، الطبعة الثالثة، 2010، ص 238.

1-زايد، عبيد الله مصباح، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، دار الرواد، طرابلس، 2002، ص 17.

2-وليش بك، ماهي العولمة: ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، دار الأمة، الجزائر، 2008، ص 48.

3-إسماعيل صبري مقلد، أصول العلاقات الدولية: الإطار العام، (د.د.ن)، أسبوط، 2007، ص 312.
4-Rapport mondial de l'UNESCO : Investir dans La diversité culturelle et le dialogue interculturel, UNESCO, 2010, p 41.

5-جاك دونللي، حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق: ترجمة مبارك على عثمان، المكتبة الأكاديمية، مصر، 1998، ص 29.

6-د.دهسون، علم اللغة الاجتماعي: ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، 1990، ص ص 211-210.

7-سناء محمد سليمان، سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، (د.س.ن)، ص 23.

8-معاذ أحمد حسن، الشباب في المجتمع العربي المأزوم: العراق أنموذجا، أمواج للنشر والتوزيع، عمان، 2013، ص ص 29-30.

9-محمود عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2003، ص 20.

10-محمد محفوظ، العولمة: دراسة في الأبعاد الفكرية والمادية والمجتمعية والإنسانية لظاهرة العولمة، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011، ص 41.

11-لويس جان كفالي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمز، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2008، ص 78.

- 12-م.م. لويس، اللغة والمجتمع، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003، ص 27.
- 13-Jennifer Peters, **Critical Perspectives on Political Correctness**, Enslow Publishing, USA, 2018, p 4.
- 14-ربيعي مصطفى عليان، العنف الجامعي: وجهات نظر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2014.

قائمة المراجع:

المعاجم والقواميس:

- 1/ إبراهيم مدكور، معجم العلوم الاجتماعية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1975.
- 2/ أكسفورد المحيط إنكليزي – عربي، محمد بدوي، بيروت، أكاديميا، الطبعة الثالثة، 2010، ص 238.
- الكتب:

أولا/ باللغة العربية:

- أحمد حسن معاذ ، الشباب في المجتمع العربي المأزوم: العراق أنموذجا، أمواج للنشر والتوزيع، عمان، 2013.
- بك أولريش ، ماهي العولمة: ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، دار الأمة، الجزائر، 2008.
- دونللي جاك ، حقوق الإنسان العالمية بين النظرية والتطبيق: ترجمة مبارك على عثمان، المكتبة الأكاديمية، مصر، 1998.
- صبري مقلد إسماعيل ، أصول العلاقات الدولية: الإطار العام، (د.د.ن)، أسيوط، 2007.
- عبيد الله مصباح زايد ، السياسة الدولية بين النظرية والممارسة، دار الرواد، طرابلس، 2002.
- عربي محمود ، تأثير العولمة على ثقافة الشباب، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 2003.
- عليان ربيع مصطفى ، العنف الجامعي: وجهات نظر، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
- كفالي لويس جان ، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمز، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2008.
- لويس م.م. اللغة والمجتمع، ترجمة: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، 2003.
- محفوظ محمد ، العولمة: دراسة في الأبعاد الفكرية والمادية والمجتمعية والإنسانية لظاهرة العولمة، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011.
- محمد سليمان سناء ، سيكولوجية الاتصال الإنساني ومهاراته، عالم الكتب، القاهرة، (د.س.ن).

هدسون. د، علم اللغة الاجتماعي: ترجمة محمود عياد، عالم الكتب، القاهرة، 1990.
ثانيا/ باللغة الأجنبية:

Peters Jennifer, **Critical Perspectives on Political Correctness**, Enslow Publishing, USA, 2018,

Rapport mondial de l'UNESCO : Investir dans La diversité culturelle et le dialogue interculturel, UNESCO,